الحرب النفسية الفرنسية في مواجهة الثورة الجزائرية
خطابات شارل ديغول 1958–1960 أنموذجا

French psychological war against the Algerian revolution. Charles de Gaulle's speeches 1958-1960 as a model

الدكتور/ سحولي بشير
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سيدي بلعباس – الجزائر
bachirsahouli22@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021-01-23 تاريخ القبول: 2021-01-24 تاريخ النشر: 2021-01-26

Abstract:

In this Historical article, we will clarify the psychological war led by colonial France against the Algerian revolution 1954-1962. more particularly the period between 1958-1962, The latter which was marked by the arrival of Charles De Gaulle to power following the putsch of 13-05-1958 led by the Ultras who wanted to save French Algeria from the revolution led by the FLN. With the arrival of the general to power, the Algerian revolution went through the hardest period, as the general's goal was to annihilate the Algerian revolution and to empty it of its true goal, which is independence. Since De Gaulle received full power, he has taken psychological warfare as a means. It was evident in his speeches from his coming to Algeria on June 04, 1958, to his announcement of self-determination for Algeria on September 16, 1959, intended to shout a discord between the Algerian people and their revolution and also between the leaders of the FLN and ALN.

Keywords : the Algerian revolution- Charles De Gaulle- the psychological war- the peace of the braves- the Constantine plan- Autodetermination.

ملخص

نحاول في هذا المقال التعرض إلى الحرب النفسية التي شنتها فرنسا الاستعمارية ضد الثورة الجزائرية 1954-1962، و بشكل خاص الفترة الممتدة من 1958-1962، هذه الأخيرة التي عرفت مجيئ الجنرال شارل ديغول إلى الحكم في أعقاب انقلاب 13 ماي 1958، الذي قادته الجماعة المتطرفة من العسكريين، لأجل تخليص الجزائر الفرنسية من الثورة الجزائرية، التي تشنها جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني.

بمجيء ديغول إلى الحكم عرفت الثورة الجزائرية أصعب المراحل منذ اندلاعها؛ لان الهدف كان القضاء على الثورة وإفراغها من محتواها الإنساني والحضاري، وإبعادها عن هدفها المتمثل في تحقيق الاستقلال. و منذ أن حصل ديغول على الصلاحيات السياسية الكاملة، عمد إلى تبني أسلوب الحرب النفسية، تجلى في خطاباته منذ مجيئه إلى الجزائر في 04 جوان 1958 إلى إعلانه عن تقرير المصير للجزائر16 سبتمبر 1959، تلك الخطابات التي سعى من خلالها عزل الشعب عن ثورته وكذلك إحداث خلافات بين قيادات الثورة الجزائرية (جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني)، والحصول على الضمانات والتنازلات لصالح فرنسا.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية- شارل ديغول- الحرب النفسية- سلم الشجعان- مشروع قسنطينة - تقرير المصير.

توطئة:

لم تعد لحكومات الجمهورية الرابعة القدرة للقضاء على الثورة الجزائرية التي مر على اندلاعها أربع سنوات، حيث بدأت هذه الأخيرة تتجذر في الأوساط الجماهيرية الجزائرية، وحتى بعض المتعاطفين معها من الفرنسيين، كما تمكنت من الحصول على دعم دول الصديقة والحليفة في المحافل الدولية كهيئة الأمم الدولية و الإقليمية (منظمة عدم الانحياز – الجامعة العربية). و نتيجة للانتصارات السياسية للثورة الجزائرية من جهة، و الانتكاسات السياسية

والعسكرية لفرنسا من جهة أخرى، شعر غلاة الاستعمار بالخوف من ضياع الجزائر، وتبخر فكرة الجزائر الفرنسية. مما دفع بهم إلى القيام بالمظاهرات في 13- ماي 1958، أقاموا خلالها حكومة إنقاذ، لعب فيها الديغوليون دورا كبيرا، إذ رأوا أن البديل لهذا الوضع المتأزم، يكمن في الاستنجاد بشخصية ارتبطت بتاريخ فرنسا المعاصر ! و هو القادر على تحقيق حلمهم " الجزائر الفرنسية " و قد أبدى ديغول استعداده لتحمل المسؤولية، حيث شرع في مواجهة الثورة معتمدا سياسة الحرب النفسية، و تجلت هذه الأخير في تلك الخطابات التي كان يتوجه بها تارة إلى الشعب الجزائري والمستوطنين الأوروبيين، و تارة أخرى لقادة الثورة في الداخل والخارج، وخطابات أخرى موجهة للفرنسيين خاصة قادة الجيش الفرنسي، جعل العديد من المؤرخين يعتبرون فترة 1958-1962 من أصعب المراحل التي عرفتها الثورة الجزائرية. و قد ركزنا في موضوعنا على تلك الخطابات التي كانت من الفترة الممتدة من 04 جوان 1958 إلى 16 سبتمبر 1959، و للإحاطة بالموضوع حاولنا معالجته ضمن الإشكالية التالية: ما هي المضامين الحقيقية لخطابات شارل ديغول لمواجهة الثورة الجزائرية؟

1– عودة ديغول إلى السلطة و اعتماد خطابات الحرب النفسية للقضاء على الثورة الجزائرية !

تمت عودة ديغول إلى المسرح السياسي في خضم ظروف أفرزتها الثورة الجزائرية (1)، حيث قام بإلقاء خطاب في قصر"البربون" في 01 جوان 1958 إثر مصادقة النواب على إعطائه الصلاحيات المطلقة خلال ستة شهور، و مما قاله في خطابه:" ***لقد عرفت الجزائر زوبعة***

من المحن و التشنجات(...) و ذلك لعجز السلطات، و في هذه الظروف نتقدم مرة أخرى بمقترحات كفيلة بأن تؤدي بالبلاد إلى شاطئ السلامة " (2)

وبتسلم شارل ديغول السلطة عمد إلى تبني أسلوب يكون له الأثر في احتواء الثورة والقضاء عليها. فقام الجنرال ديغول بزيارات للجزائر، وألقى الخطابات وأجرى ندوات صحفية حملت في طياتها مشروعا لتخليص فرنسا من الورطة التي أوقعتها فيها الثورة الجزائرية، و بنى مشروعه السياسي والعسكري على إشاعة الفرقة والفتنة بين زعماء الثورة في الداخل و الخارج. (**3**) وكان لخطاباته و قعا كبيرا على الثورة الجزائرية، خاصة أن الرجل – ديغول– اعتمد سياسة الجزرة و العصا (الترغيب و الترهيب).

– خطاب الجزائر 04جوان1958 ومحاولة دغدغة المشاعر :

قام الجنرال ديغول بزيارة إلى الجزائر، وقد حضر جمع غفير من الجماهير من الجزائريين خاصة المستوطنين الأوروبيين الذين يتمسكون بفكرة الجزائر فرنسية، وقد هتف أولائك بحياة شارل ديغول، خاصة لما ردد تلك العبارة الشهيرة (فهمتكم)، و ألقى خطابه الشهير في الساحة العامة محاولا دغدغة المشاعر، و طمأنة الجماهير الحاضرة، و الظهور بصورة المخلص لفرنسا، و مما جاء في الخطاب : << ***... من هذا كله، أقولها من اليوم و باسم فرنسا، بأنها – فرنسا– تعتبر السكان في الجزائر فئة واحدة (..) فرنسيون بكامل الحقوق (...) وعاء انتخابي واحد (..) و هذا ما سيكون بعد ثلاثة شهور (..) و في مناسبة سيحدد فيها، الفرنسيون بما فيهم العشرة مليون فرنسي مستقبلهم (..) العشرة ملايين الفرنسيين سيكون انتخاب ممثليهم في المجالس انتخابية مثلهم مثل الفرنسيين الآخرين ..)*** ثم يواصل

خطابه قائلا: << ***و هل يمكن أن يشارك في هذا التحول الذين أعلنوا الحرب بسبب فقدهم الأمل*** *(....)* ***نعم أنا ديغول أفتح لهم أبواب المصالحة***>> (**4**) *وفي ختام خطابه هتف بعبارة:* << ***تحيا الجمهورية تحيا فرنسا***>> (**5**). و جاء في احد الكتابات التاريخية أن ذهاب ديغول إلى الجزائر كان لأجل طمأنة المستوطنين الأوروبيين (الكولون) و الجيش، مما جعل هؤلاء يعتقدون ان المقصود من تلك العبارة الشهيرة (فهمتكم) ، أنه– ديغول– حريص على أن تبقى الجزائر فرنسية.(**6**)

المحلل للخطاب يدرك أن ديغول جاء إلى الجزائر، للتأكيد على أن الجزائر ستبقى فرنسية،كما حاول تقزيم الثورة لا من حيث الأسباب التي أدت إلى اندلاعها، و لا المبادئ التي قامت عليها، و إنما حتى المشروع الذي أعلنت عنه في بيان نوفمبر 1954 و هو الاستقلال و استعادة السيادة الوطنية المفقودة منذ 1830.و قد ردت قيادة الثورة على خطاب ديغول في جريدة المجاهد، بأنها ترفض سياسة الدمج، و أن الاستقلال هو الهدف مهما كان الثمن. (**7**)

3– خطاب مستغانم 06 جوان 1958 وبداية الحرب النفسية :

بعد يومين من زيارة ديغول الى الجزائر، انتقل إلى مستغانم، و هناك قال في خطابه بأن فرنسا و العالم أجمع، يشهدون، بأن مستغانم تعلن أن كل فرنسيي الجزائر متساوون في الحقوق و الواجبات، بما فيهم العشرة مليون و تعهد بأن فرنسا ستعرف التحول الجديد و الايجابي بعد تجديد مؤسساتها، لأجل النهوض بها جسدا و روحا، بعد ثلاثة أشهر،و قال أيضا بأن العشرة مليون فرنسي سيشاركون في بناء المؤسسات، ثم توجه إلى الثوار حيث دعاهم إلى العودة إلى ذويهم وأنه يضمن لهم فعل ذلك ختم خطابه بعبارة مدوية تحيا الجزائر

الفرنسية(8) المتمعن في الخطاب يجد أن الجنرال ديغول حاول مرة أخرى طمأنة الفرنسيين، و تحسيسهم بأنه بصدد البحث عن مخرج يمكنهم من الحفاظ على الجزائر الفرنسية من جهة، و كذلك محاولة زرع الفتنة بين قادة الثورة، و عزل الجماهير الجزائرية من خلال طرحه لجملة من الحلول و الاقتراحات يراها – ديغول- كفيلة لإحداث مصالحة بين الجزائريين الذين فقدوا ثقتهم في الإدارات الاستعمارية الفرنسية السابقة.

و في 04 جويلية1958 خطب ديغول موجها كلامه إلى الجزائريين قائلاً :<< ***سندمج الجزائر تماما في فرنسا (....) وسيكون هناك نوع واحد من الطوابع البريدية في كل الجزائر وفرنسا، كما سيعطى الجزائريون حقوقا متساوية في التصويت>>"*** و أكد ذلك ميشال دوبريه Michel Debré رئيس الحكومة الفرنسية في إحدى زياراته للجزائر، قائلا :<< ***إن سلطة فرنسا في الجزائر، أمرا يفرضه التاريخ والطبيعة والأخلاق، ويجب على الجزائريين أن يفهموا نهائيا، أن كل واحد من سكان هذا البلد، هو مواطن فرنسي مثله مثل أي مواطن في الوطن الأم- يقصد فرنسا-، ولن تقبل الحكومة بأي حال من الأحوال أن تكون المواطنة الفرنسية محل نظر>>"***(9)، لقد حاول شارل ديغول بخطابه التوجه إلى الشعب الجزائري مثيرا لسياسة الإدماج، بمنح الحقوق السياسية حتى يحدث الشرخ بين الشعب وقادة الثورة.

4– الترويج والدعاية لاستفتاء 26 سبتمبر 1958 :

قام الجنرال شارل ديغول في شهر أوت بجولة طاف خلالها المستعمرات الفرنسية و ألقى فيها الخطابات للحصول على التأييد لمشروعه، الذي طالما حدث به الجماهير الفرنسية،

المتمثل في مشروع الاستفتاء. و كان السؤال المطروح أثناء الاستفتاء في المستعمرات الفرنسية بالشكل التالي : هل تريد البقاء في الاتحاد أم تريد الاستقلال ؟ أما في الجزائر فكان السؤال المطروح : هل توافق على الدستور؟ أم لا ؟ و تذكر المراجع التاريخية، أن يوم الاقتراع قامت السلطات الفرنسية بتسخير قواتها لنقل من وقع في أيديها من الناخبين، بالقوة في سيارات النقل الحربية إلى مواطن الاقتراع، ليجبروا على التصويت بنعم. و بعد الاقتراع صرحت الحكومة الفرنسية، أن الأهالي الجزائريين شاركوا جميعا في الاستفتاء، ول م يتخلف عن التصويت مواطن واحد، بمعنى أن ديغول أراد توجيه رسالة للعالم أنه لا يوجد قمع في الجزائر، و ما يحصل من عمليات عسكرية هو من أجل الأمن وتحقيق السلم (**10**) ويذكر أن السلطات الفرنسية اعتمدت خلال عملية الاستفتاء على العنف و الترهيب للجماهير العزل، قصد تسجيل أسمائهم في قوائم الانتخاب، وأشارت بعض التقارير إلى ممارسة التعذيب على المعارضين. (**11**)

و في ذات السياق ذكر احمد توفيق المدني؛ أن الشعب الجزائري كله مجمع على رفض الاشتراك في الاستفتاء، لذلك لجأ الفرنسيون إلى عمليات القمع والإرهاب، بصورة لم يسبق لها مثيل، و على اثر ذلك قامت جبهة التحرير بإبلاغ الأمم المتحدة، وكذلك جميع ممثلي الدول فيها، بما تقوم به فرنسا من أعمال إرهابية، و أكدت أن جبهة التحرير الوطني الممثلة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لا تعترف بهذا الاستفتاء، كما ترفض الاعتراف بكل ما سيسفر عنه من نتائج، نظرا لما تتسم به عملية التصويت من تهديد وإرهاب ذلك أن نتائج الاستفتاء الذي دعا له ديغول، كانت تعلم – جبهة التحرير الوطني- نتائجه مسبقا، و من جهة أخرى دعت الشعب الجزائري إلى الامتناع عن التصويت.(**12**)

و ردا على الاستفتاء المزعوم، أعلن فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 26 سبتمبر1958 بيانا جاء فيه :<< ***إن الشعب لن يلق السلاح إلى أن يتم الاعتراف بحق الجزائر في السيادة والاستقلال، والجزائر ليست فرنسا و الشعب الجزائري ليس فرنسيا***>>(**13**)، لقد أدركت قيادة الثورة النية المبطنة من الدعوة إلى الاستفتاء، باعتباره عملية موجهة لإضعاف الـــتأييد الإقليمي و الدولي للثورة الجزائرية، مما الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تعلن معارضتها لمشروع الاستفتاء معتبرة إياه إنكارا لمشروعية الثورة في تحقيق الاستقلال بعيدا عن الهيمنة الاستعمارية. أما بالنسبة لديغول فالمسألة، كانت تتمحور حول الهدف الذي جاء لأجله إلى الحكم، إذ سعى إلى استعادة هيبة الدولة، وإعطاء لفرنسا موقعا في أوروبا و العالم، وتوحيد الجيش الفرنسي تحت راية واحدة، والسماح له بتمرير دستور الجمهورية الخامسة، أين تكون له اليد الطولى لأجل التصرف في الجزائر وفق خطة سياسية ،يسعى من خلالها إلى القضاء على الثورة الجزائرية، و الإبقاء على الجزائر تحت السيادة الفرنسية بأي شكل من الأشكال.

– خطاب قسنطينة 03/أكتوبر/1958 ومحاولة الالتفاف على الثورة :

انتقل ديغول إلى قسنطينة لمواصلة حملته الموجهة لعزل الثورة الجزائرية، فألقى هناك خطاباً، أعلن فيه عن مشروع واعد قال عنه أنه سيغير وضعية الجزائريين و الجزائر بشكل جذري و أنه فسح فيه المجال للجزائريين في مجالات شتى منها:

1– تقلد المناصب الإدارية (الإدارة– القضاء – الجيش – التعليم)

2– التساوي في الأجور بين الجزائريين والفرنسيين.

3– توزيع 250000 هكتار من الأراضي الزراعية على الفلاحين.

4– تطوير النشاط الصناعي (البتروكيماوي– التعدين)

5– انجاز سكنات لمليون فرد.

6– إقامة المستشفيات.

7– شق الطرق.(**14**)

كما وعد شارل ديغول بتنظيم انتخابات خلال شهرين (في الوطن الأم و الجزائر)، و أن الوعاء الانتخابي سيخصص منه الثلثين للمسلمين، ثم ذكر بأن هذا التحول سيكون ايجابي في الجزائر بنسائها وأطفالها، و اعتبر المشروع المطروح انجازا سياسيا، اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا عظيما، لا يمكن لأحد القيام به سوى فرنسا. ثم توجه ديغول في ذات الخطاب إلى الثوار، داعيا إياهم إلى إيقاف الحرب، موجها اللوم إلى الدول التي تدعم الثورة الجزائرية، و التي تتخذها جبهة التحرير كمنابر لانتقاد السياسة الفرنسية، و قال أيضا أنه لا يوجد في الجزائر إلا طريقين، الحرب أو الأخوة، و أن فرنسا اختارت الأخوة. و ختم ديغول خطابه بكلمة تحيا الجمهورية تحيا فرنسا.(**15**)

إن المشروع الذي تقدم به ديغول في خطاب قسنطينة، ليس عملية تتيح النمو المركز على الجزائر، بل يقرر علاقات تبعية الجزائر لفرنسا، عن طريق تكوين طبقة برجوازية جزائرية، تربط مصالحها بمصالح الاستعمار الفرنسي، كما يهدف المشروع إلى استمرار الوجود الفرنسي في الجزائر، و الإطالة في عمره عن طريق الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية. محاولا في ذلك إفراغ الثورة الجزائرية من أهدافها المشروعة، و المتمثلة في تحقيق

الاستقلال واستعادة السيادة الوطنية، فسعت جبهة التحرير إلى تعطيل المشروع وعدم إقبال الجزائريين عليه، لأنها كانت تعلم ما فيه من خطر على المدى القريب، باعتباره شكلا من أشكال الحرب النفسية، التي تعتمد أسلوب الترغيب، أما على المدى البعيد فإن المشروع سيؤدي حتما إلى بروز الفئة الثالثة، التي تعتمد عليها فرنسا في الإبقاء على الجزائر تحت النفوذ الفرنسي ،و عليه كثفت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على المستوى الداخلي، بتنبيه السكان بخطر المشروع و دعتهم إلى مقاطعته، و عدم قبول التسهيلات التي يمنحها، بل قامت بمعاقبة من تسلموا الأراضي المستصلحة، أما على المستوى الخارجي قامت الحكومة المؤقتة في تونس، بشرح مخاطر المشروع على الكفاح المسلح في الجزائر. (**16**)

– خطاب سلم الشجعان 23 أكتوبر 1958 والتخطيط لاختراق جيش التحرير الوطني:

تنفيذا لحربه النفسية والمعلنة على جبهة التحرير، سعى شارل ديغول إلى الاستمرار في دعايته لإحداث الفتنة والانشقاقات داخل صفوف جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير، و إشاعة الفرقة بين الداخل والخارج و عزل الجماهير عن الثورة، فأعلن على سلم الشجعان، من خلال توجيه خطاب جاء فيه : **<< إنني أتوجه مرة أخرى، باسم فرنسا إلى زعماء الثورة فنحن في انتظارهم هنا لنجد مخرجا مشرفا للقتال الذي مازال مستمرا، و بعد ذلك سيهيئ كل شيء لكي يكون للشعب الجزائري الرأي في تهدئة الأمور فالقرار في هذا المجال سيكون ما يقرره هو، غير أنني موقن أنه سيتبع المنطق السليم، بإقدامه على تحويل الجزائر الجزائرية إلى بلد مزدهر و أخوي بالاتحاد بفرنسا و بالتعاون مع الاتحادات الفرنسية >>**(**17**) إن هذا الخطاب كان موجه إلى القادة العسكريين في جيش التحرير الوطني في الداخل، يدعوهم

إلى إجراء اتصالات مع مسؤولي الجيش الفرنسي متعهدا لهم، بأنهم سيستقبلون بصفة أبطال ويعاملون معاملة حسنة إلا أن الحقيقة هي غير ذلك فديغول أراد أن يستغل بعض الخلافات بين قيادات الثورة في الداخل و الخارج، بتوجيه خطابه من كانوا بالجبال لأجل الدخول في المفاوضات.

و حول ذلك العرض الديغولي، يذكر علي كافي في كتابه، أن قيادات الولايات العسكرية حصلت على رسائل بإمضاء الجنرال ايليEly، تدعوهم إلى المفاوضات، و أن الولاية الثانية حصلت على تلك الرسائل، و أن إجابتهم- قادة الولاية الثانية- عليها كانت صارمة و دقيقة، جاء فيها : ***<< نحن قيادة عسكرية، والمفاوضات تفرض إشراك المسؤولين السياسيين، وأي اتصالات يجب أن تكون بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وهي المخولة للقيام بالمفاوضات مع الحكومة الفرنسية>>*** وقال- علي كافي- ***<< إن الموقف الذي اتخذته الولاية الثانية إزاء عرض سلم الأبطال، ليس معناه أننا كنا على اتفاق تام مع الحكومة المؤقتة، بل كانت لدينا بعض المآخذ و مواقف تجاهها، وموقفنا من مشروع سلم الشجعان،كان يهدف إلى عدم إعطاء الفرصة للعدو لتفرقة صفوف جيش التحرير، و أن سلم الشجعان ما هو إلا مناورة شرع ديغول في تنفيذها>>*** .(18)

الشيء الذي كشفته الكتابات التاريخية، أثبت أن الجنرال شارل ديغول قد عرض سلم الشجعان، لأنه كان على علم ببعض الخلافات التي وقعت بين قيادات الثورة الجزائرية، تلك الخلافات بين قيادات العسكرية في الداخل (الولايات العسكرية)، وبعض القيادات في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، حول التموين بالأسلحة، لأن هذه الأخيرة قبل دخولها

من الخارج، بسبب الرقابة الشديدة التي فرضها الجيش الفرنسي على الحدود الشرقية والغربية، جراء تطبيق خطة شال العسكرية. و المؤكد أن شارل ديغول أراد أن يستغل ذلك من معرفته العسكرية، علما أنه عسكري و مدرك لأهمية الحرب النفسية في المواجهات الحربية، كما أن له مذكرة قدمها لما كان طالبا في المدرسة العسكرية عنوانها **الخلاف في صفوف العدو La discorde chez l'ennemi**.و فيها يظهر ديغول أهمية استغلال الخلافات في صفوف العدو لكسب الحرب.

– الخطابات العسكرية الوجه الأخر للحرب النفسية:

موازاة لسياسة الترغيب التي أبداها الجنرال شارل ديغول في خطاباته السياسية، منح في خطاباته العسكرية الموجهة إلى قيادات الجيش الفرنسي في الجزائر، الصلاحيات العسكرية و على رأسهم لجنرال شال لإتمام خطته الترهيبية للقضاء على الثورة عسكريا، و يذكر فرحات عباس، أن الجنرال شال، كان مدعما بقوات، لا مثيل لها ماديا و معنويا بلغت حوالي 60الف جندي من خيرة ما يوجد، من مظليين ، قوات تدخل سريع، بريين، و مختصين في حرب العصابات، و عقد فريد من الضباط السامين.(**19**).

و بإيعاز من شارل ديغول قام الجنرال شال بضرب حصار في كل مكان و من منطقة إلى أخرى، مما جعله يلحق الضرر بالقدرة الحربية للثورة الجزائرية، فأرغمها على التشكل في وحدات عسكرية صغيرة للحركة و التملص تفاديا للدخول في مواجهة مباشرة مع القوات الفرنسية.. و عن تأثير تلك العمليات و ما حققته الحرب النفسية على الثورة الجزائرية قيادة و شعبا، نقف عليه في تصريح الجنرال شال يوم 07 نوفمبر 1959 : << ***يمكننا أن***

نتصور اللحظة، أين يفقد الثوار كل أمل في الانتصار على الصعيد العسكري، و سيجدون أن المخرج الوحيد هو الاستسلام (..) يومها وقف إطلاق النار سيكون بالنسبة لنا قضية إنسانية (...) ولتحقيق الانتصار لست بحاجة إلى وقف إطلاق النار>>" (**20**) ، و ليطمئن الجنرال شال قائده شارل ديغول، أدلى بتصريح إلى جريدة لوموند **Le monde**، أكد فيه أن الانتصار العسكري على الثورة، قد يتحقق، و أنه آخذ بزمام الأمور و الموقف.(**21**) كما لم تكتف خطة شال بالتطويق و المسح الذي يعقبه الانصراف، بل اعتمدت على إبقاء القوات العسكرية في الجبل، و التمركز في الأمكنة التي يتواجد أو يتحرك بها الثوار، قصد قطع صلتهم بالجماهير الجزائرية و عزلهم عنهم، حتى تصبح هذه الجماهير المساندة و المؤيدة تشعر بالخوف، و بالتالي تتحول الثورة إلى أمر لا يعنيهم.(**22**)

و ما يؤكد أن الحل العسكري كان حاضرا في ذهنية شارل ديغول، إجراؤه لاتصالات مباشرة مع المسؤولين العسكريين الفرنسيين في مراكزهم، وحول ذلك قال : <<***إن الاتصال المباشر بالمسؤولين قد حدد في ذهني بعض المعطيات، التي لم تكن جميع التقارير لتوضحها، و لقد أصبح ثابتا لدي الآن، أنه إذا لم نفقد شجاعتنا، فان الثورة ستظل عاجزة عن السيطرة على الجزائر >>"*** (**23**) و لتقديم الدعم المعنوي للعمليات العسكرية في الجزائر، قام ديغول بزيارة إلى الجزائر دامت من 03 إلى 07 مارس 1960 تفقد خلالها المناطق التي تتمركز بها، و ألقى خطاب عليهم قائلا :<< ***إن المعركة لم تنته، و قد تستمر أشهر و أشهر، و ما دامت مستمرة، فان الواجب يدعوكم إلى مطاردة العدو و التغلب عليه >>"***(**24**)، الواضح من هذا الخطاب الموجهة للعسكريين، أن شارل ديغول اختار

الحسم العسكري كحل ثاني يتزامن مع الحلول السياسية التي ظل يصرح بها أثناء لقاءاته مع الضباط العسكريين و رؤساء مصالح وأجهزة الأمن في الجزائر.

و في ذلك السياق نشرت صحيفة صدى الجزائر **L'écho d'Alger**، أخبارا عن جولات الجنرال ديغول، في عددها الصادر يوم 07أفريل1959، تحدثت فيه عن تهنئته للقادة العسكريين و فرقهم، على العمليات العسكرية في منطقة وهران، و أثناءها تحدث عن رضاه على سير العمليات العسكرية, و تهنئته لكل من الجنرال شال **Challe**وغامبيير **Gambere**و بقية القادة و الفرق العسكرية، الذين هم تحت قيادته. و أشارت نفس الجريدة، أن ديغول ذكر لجنرالاته، أن لديه الثقة الكاملة في القادة العسكريين لتحقيق التهدئة. و في رسالة أخرى نشرتها نفس الجريدة، جاء فيها تصريح لدولوفريه **Delouvrier**، أن هذا الأخير سلم رسالة من ديغول إلى شال، قائلا له: << ***إنني أسلم لكم بابتهاج عظيم رسالة رئيس الجمهورية، وأقدم تهاني لكم و لجميع القوات العسكرية بالجزائر، التي تمكنت بفضل نشاطها خلال هذين الشهرين من اجتياز مرحلة جديدة على طريق التهدئة***>> .(25)

الواقع أن الخطة التي اعتمدها شال، وبمباركة من ديغول، كان و قعها كبير على الثورة في الداخل، و نقف على ذلك التأثير، مما ذكره على كافي : << ***يمكنني أن أؤكد، و أنا على يقين مما عايشته و شاهدته، أننا لم نعرف فترة أحلك و أخطر على الثورة من مرحلة ديغول، حيث لم يسبق للجيش الفرنسي أن وصل تعداده إلى ما وصل إليه خلال عمليات شال(..) إن الحصار دام في بعض المناطق حوالي ثلاثة أشهر، عانى فيها الشعب***

الجوع و المرض، حيث أقيمت المحتشدات لتجميع الآلاف من المدنيين الجزائريين >> **(26)**

و تزامنا مع ذلك التطويق العسكري المفروض على ثورة في الولايات الست خاصة الولاية الأولى و الثانية و الرابعة و الخامسة، كانت الطائرات الفرنسية تلقي بالمناشير، جاء فيها :<< ***إن الجنرال ديغول في السلطة، وقد أعطانا كل الإمكانيات العسكرية والمالية، فلكم الاختيار، إذا استسلمتم سنبني لكم المدارس والمستشفيات و المساكن والطرق، و إلا فان هذه الإمكانيات ستستعمل في شراء قنابل النابلم، و الأسلحة الفتاكة، و بهذا سنقضي عليكم >>*** **(27)** أما الضغط النفسي الذي مارسته خطة شال، يُذْكَرُ أنها نالت من معنويات الجزائريين المدنيين، إذ طالهم التعذيب و التهجير و الأسر و الاعتقال، كما أصبح الشعب الجزائري كثير التخوف و الخشية خاصة في الدواوير، و يذكر فرحات عباس؛ أن العقيد عميروش نتيجة للقهر البسيكولوجي المسلط من قبل النظام الفرنسي، كان يظن أن المثقفين و الشيوعيين قد تخابروا مع المصالح الخاصة الفرنسية في الولاية الثالثة لأجل إجهاض الثورة في المنطقة، و أن هؤلاء – يقصد المثقفين و الشيوعيين- قد خانوه، و في شهادة أخرى للدكتور بن عبيد (طبيب عميروش) يذكرها فرحات عباس بقوله : << ***أن بعض المشاتي، كانوا يغلقون أبوابهم في وجه الجميع، و كانوا يطردوننا، كأننا مصابون بالطاعون>>*** ***(28)***، إن هذا التصريح يدل أن القبضة الحديدية التي فرضتها القوات الفرنسية في كثير من الولايات خاصة منها الولاية الثانية، قد أدت إلى ظهور شكوك داخل قيادات الثورة في أن الثورة، قد اخترقت من قبل عناصر تعاملت سرا مع الأجهزة العسكرية الفرنسية التي استحدثها الجنرال شارل ديغول لأجل القضاء عليها.

ومما ذكر عن القبضة التي أحكمها الجنرال شال، و سلم الشحعان الذي عرضه ديغول، يبدو أنهما أثرا نفسيا على بعض قيادات الثورة في الولايات. و يذكر أن الولايات التي انخدعت لتلك السياسة الديغولية، الولاية الرابعة وهو ما أطلق عليه اسم قضية سي صالح، الذي أجرى اتصالات سرية، أوصلته إلى إجراء لقاء مع ديغول في قصر الاليزي، في وقت كانت اتصالات سرية تجري في مولان بين الوفد الممثل للحكومة المؤقتة، و ممثلين عن الحكومة الفرنسية. (**29**) و عن هذه قضية – قضية سي صالح- يذكر رضا مالك : << .... ***في الوقت الذي انتقل الوفد الممثل للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الى مولان، كانت هناك رسالة قد بعث بها سي صالح ونوابه الرائد محمد ولخضر و النقيب عبد اللطيف، بتاريخ 19 جوان 1960 طلب سي صالح ونوابه من فرحات عباس الاستجابة للمفاوضات، وقد هدد قادة الولاية الرابعة، أنهم سيقومون بإجراء اتصالات، إذا لم توافق الحكومة المؤقتة على ذلك***>>، ويضيف أيضا: << ***أن في تلك الظروف تعودت الحكومة المؤقتة على تلقي رسائل من الولايات الداخلية التي كانت تعاني من القبضة المحكمة التي مورست عليها من جراء خطة شال، و لكن أن تأتي مثل هكذا – رسالة سي صالح- فهذا يعني شيء آخر***>> (**30**)

و تذكر الكتابات التاريخية أن خطة ديغول في الدعوة إلى وقف إطلاق النار، وطلبه من المتمردين وضع السلاح ورفع الراية البيضاء، ما هي إلا خدعة منه، لأنه كان لا يرغب في التفاوض مع جبهة التحرير، فأراد استغلال الوضع المتأزم في الولايات العسكرية (الولاية الثالثة والرابعة) بفعل نقص الأسلحة، وأن يلعب على الحبلين، من جهة يتحدث مع ممثلي جبهة التحرير الوطني، ومن جهة أخرى، يحاول إجراء اتصالات مع القيادات العسكرية في

الداخل(**31**)، إذ ذكر ديغول في مذكراته أنه في 12 جوان 1959 أجرى اتصالات مع عبد الرحمن فارس لإجراء اتصالات سرية غير علنية مع فرحات عباس. (**32**)

– خطاب 16سبتمبر1959 وحقيقة مشروع تقرير المصير:

نظرا لاشتداد قوة الثورة الجزائرية والفعالية الدبلوماسية التي أظهرتها الحكومة المؤقتة من خلال حصولها على التأييد الدولي، وفشل ديغول في احتوائها سياسيا(أسلوب الإغراء، والتآمر)، وعسكريا(خطة شال). حاول ديغول إضعاف موقف الحكومة المؤقتة داخليا ودوليا، بإعلانه عن تقرير المصير للجزائريين حيث تصور ثلاثة طروحات :

1- الانفصال: و قال عنه سيؤدي بالجزائر إلى وضع متأزم و فوضى، و ربما قد ينتج عن ذلك حالة مأسوية، و مستقبل غامض.
2- الفرنسة : والتي تعني الدمج، لكن هذا الطرح لم يعد من ضمن حساباته.
3- المشاركة : و هو المقترح المفضل بالنسبة له، وذكر مزاياه. (**33**)

و تذكر المصادر التاريخية أن ديغول في خطابه، رفض الاستقلال و الفرنسة و اختار المشاركة، بحيث تكون حكومة الجزائريين من الجزائريين واتحاد وثيق معها فيما يتعلق بالاقتصاد والتعليم والدفاع والعلاقات الخارجية أي الحكم الذاتي الذي يقيد السيادة ، كما أشار ديغول إلى أمور وقضايا جد خطيرة منها، التهديد بالتقسيم العرقي بتجزئة الأمة الجزائرية، و تقسيمها إلى مناطق ذات حكم ذاتي بقوله : **<< تجد هذه المجموعات المختلفة: الفرنسية والعربية و القبائلية و الميزابية التي تتعايش في هذا البلد، ضمانات تتعلق بحياتها الخاصة وإطار للتعاون فيما بينها >>**.(**34**) وقال ديغول في تصريحه **<< أطلب من الجزائريين في ولاياتهم اثنا**

عشر أن يعبروا عما يريدون من مصير في آخر الأمر، و أطلب من الفرنسيين من جهة أخرى، أن يصادقوا على اختيارهم>>. لقد أراد بعرضه، التوجه إلى الجزء الشمالي من الجزائر فقط، و اعتبار الولايات الأخرى الثلاث غير معنية بمشروع تقرير المصير المقترح.(**35**)

و أخطر قضية أثارها ديغول في خطابه، هي قضية الصحراء الجزائرية و ما بها من ثروات باطنية، إذ هدد الجزائريين في حالة اختيارهم الاستقلال، بأن فرنسا ستتخذ كل الإجراءات اللازمة لاستغلال و نقل النفط الصحراوي الذي هو ثمار فرنسا، و يهم كل دول الغرب، و معنى ذلك أن ديغول أثار قضية الصحراء الجزائرية التي ستسعى فرنسا لفصلها عن الجزائر، كما تضمن الخطاب تلميحا بتعدد الأطراف المعنية بفكرة تقرير المصير من خلال إشراك جميع التيارات السياسية، و يعني ذلك فكرة الطاولة المستديرة التي يهدف منها سحب البساط من تحت جبهة التحرير الوطني كممثل للشعب الجزائري (**36**)

و يذكر أن شارل ديغول من عرضه للفكرة تقرير المصير، إنما كان لتحقيق انتصار دبلوماسي دولي، حيث اتخذت هيئة الأمم المتحدة (الجمعية العامة) قرارات دعت فيه الحكومة الفرنسية إلى حل القضية الجزائرية سلميا، لذلك اتخذ ديغول قرار تطبيق مبدأ تقرير المصير قبيل انعقاد دورة 1959، حتى يحصل على تأييد الدول الغربية متحالفة مع فرنسا .(**37**) و ما يدل أن ديغول استهدف التأثير على الرأي العالمي بطرحه لفكرة تقرير المصير، يستنتج من تصريح الرئيس السوفياتي نيكيتا كروتشوف: **<< إن المقترحات الأخيرة للجنرال شارل ديغول حول حل مشكل الجزائر عن طريق تقرير المصير بإجراء الاقتراع العام، يمكن أن تصل إلى حل للمعضلة الجزائرية >>**.(**38**)

كما تم الرد على المناورات السياسية الديغولية، في مقال في جريدة المجاهد 15 أكتوبر 1959 بعنوان تقرير المصير والحكومة المؤقتة L'autodétermination et le GPRA و مما جاء فيه أن تقرير المصير معناه حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ويكفل الحق للشعب الجزائري بممارسة سيادته الوطنية، و أما تقرير المصير الذي أعلن عنه رئيس الجمهورية الفرنسية– ديغول– فكل شعوب العالم تعرفه و خاصة الشعوب الحليفة و الصديقة من أفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية ، و أن تقرير المصير الحقيقي هو الذي يمنح للشعب الجزائري أن يختار مصيره بكل حرية، و هذا ما سيساعد على استقلال الجزائر وتكوين الجمهورية الجزائرية، و ليس بلقنة الجزائر. (**39**)

و نددت المجاهد في مقالها، بالمناورات والحرب النفسية التي تشنها مصالح الفرنسية، لأجل عزل الشعب الجزائري عن جبهة التحرير الممثلة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وكذا جيش التحرير الوطني، و ذكرت جريدة المجاهد أن الجهاز السياسي والعسكري للثورة الجزائرية متفطنان للمناورات الديغولية، و دعوا الفرنسيين ومن سار في فلكهم الكف عن الأحلام، لأن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي حقيقة مشخصة في الواقع وممثلة للشعب الجزائري، و معترف بها من طرف العديد من دول العالم، و اعتبرت جريدة المجاهد فكرة ديغول حول تقرير المصير، مجرد مناورة موجهة لأجل تجاوز ضغوطات هيئة الأمم المتحدة، و أن تقرير المصير مثله مثل باقي العروض الأخرى التي سبقت مثل قانون الإطار (La loi cadre) أو الدمج (L'intégration) وكلها عروض كانت لأجل القضاء على الثورة وحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره. (**40**)

و في سياق فكرة تقرير المصير الذي عرضه ديغول، قال رضا مالك :" **إن تقرير المصير المقترح ، كان فقط لربح الوقت حيث نفى الوحدة العرقية للشعب الجزائري و وزعه إلى أقليات (عرب – أمازيغ – بنو ميزاب (...) و معنى ذلك أن الاستفتاء سيكون على أساس القوميات و غير موحد، وأن الدولة الجزائرية ستكون على شكل فيدرالي ومتحد مع فرنسا، وأن هذا الإعلان يستثني الصحراء من الاستفتاء (...) وأغلق باب المفاوضات أمام الثوار، حيث طرح عليهم ما أعلن عنه في سلم الشجعان**" (**41**) .أدى هذا الخطاب إلى رد فعل معارضة من لدن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، معتبرة الاستفتاء وسيلة لوضع الجزائر في نظام لا يتسنى للشعب الجزائري المطالبة بالاستقلال،و دعت إلى مقاطعة الاستفتاء، لأنه يمثل عدوانا على مشروعية الثورة.

و في سياق ما حصل من التطورات السياسية والعسكرية، و رغم المناورات والحرب النفسية التي ظل الجنرال شارل ديغول يمارسها على القيادة السياسية و العسكرية للثورة الجزائرية، ظلت هذه الأخيرة متمسكة بمواقفها المعلنة في بيان نوفمبر1954 بقبول جبهة التحرير الوطني كممثل شرعي و وحيد للثورة، و الحرص على وحدة الشعب الجزائري ، و وحدته الترابية، مما دفع بشارل ديغول إلى الدخول في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني بداية من مولان في جوان 1960.

الخاتمة :

يمكننا القول أن فترة حكم ديغول في الجزائر المستعمرة بين 1958- 1962 تعد من الفترات الصعبة التي عرفتها الثورة الجزائرية، نظرا لما اعتمده من مخططات سياسية واقتصادية

واجتماعية، حيث ظل هذا الرجل السياسي والعسكري طيلة فترة حكمه، يمارس الحرب النفسية على الثورة ومشروعها الاستقلالي إلى آخر جولة من المفاوضات، إذ كانت تثار قضايا قصد العرقلة والحصول على التنازلات من طرف الثورة الجزائرية مثل: قضية وقف إطلاق النار– القوى الثالثة– الأقلية الأوروبية – القواعد العسكرية – مسألة التعاون الاقتصادي والثقافي بإثارة قضايا كانت جوهرية ولا تقتضي التنازل عنها من طرف الثورة الجزائرية، فبقيت هذه الأخيرة متمسكة بموقفها منذ اللقاء الأول في مولان جوان 1960– إلى إمضاء اتفاقيات ايفيان مارس 1962 والمتضمنة : الاحتفاظ بكامل التراب الوطني، وحدة الشعب الجزائري، الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل وحيد وشرعي للشعب الجزائري، رفض إيقاف القتال ما لم يسبق ذلك اعتراف صريح باستقلال الجزائر

الإحالات :

1- شارل ديغول، مذكرات الأمل، التجديد 1958-1962، ترجمة سموحي فوق العادة، مراجعة أحمد عويدات، منشورات عويدات بيروت، الطبعة 1971، ص 52.

2- ناصر الدين سيعدوني، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2000، ص 254.

3- Ali kafi , du militant politique au dirigeant militaire, mémoires 1946-1962, CASBAH édition Alger 2002, p :146

4- Paul- Marie de la Corce, Charles De Gaulle,Tome2, nouveau monde éditions paris 2013, p :258.

5- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة المسلحة،ترجمة محمد حافظ الجمالي، مراجعة حاج مسعود ، دار القصبة للنشر الجزائر 2007، ص 91

6- Pierre Ripert, De Gaulle, Maxi- Livres, 2004, p : 116.

7- El Moudjahid 13 juin1958.

8- .سليمان الشيخ، مرجع سابق 92.

9- أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، دار هومه، طبعة 2005، ص 210.

10-نفس المرجع، ص 213.

11-بسام العسلي، أيام جزائرية خالدة، دار النفائس، الطبعة الثانية، طبعة 1986، ص 63.

12-نفس المرجع، ص 64.

13-أزغيدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص 214.

14-سلبيمان الشيخ، مرجع سابق، ص 96

15- Patrick Eveno et jean planchais, la guerre d'Algérie, Dossier et témoignages reunis et présentés, Laphomic, Alger 1990, pp :237-240.

16-نصر سعيدوني، مرجع سابق، ص، ص: 274-275..

17-شارل ديغول، مصدر سابق، ص 100.

18- Ali Kafi, Opcit, p :198.

19- Fehat Abbes, Autopsie d'une guerre L'Aurore, Alger livres editions.Alger 2011, p : 245.

20- Reda Malek, L'Algerie a Evian, Histoire des negociations secretes 1956-1962, Editions ANEP,2001, p :58.

21-بسام العسلي مرجع سابق، ص 38.

22- Ferhat Abbes, Opcit, p :245

23-شارل ديغول، مصدر سابق، ص 84.

24-محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر 1942-1992، الجزء الثاني، دار هومه2000، ص207.

25-بسام العسلي، مرجع سابق، ص:37.

26- Ali kafi, Opcit, p :198.

27- Ibid, p 200.

28- Ferhat Abbes, Opcit, p :248

29- Ali kafi, Opcit, p : 198

30- Reda Malek, Opcit, p :66.

31-Albert Paul Lentin, les différentes étapes de la politique de De Gaulle de juin 1962- juillet 1962, in le retentissement de la révolution Algérienne colloque international d'Alger 24- 28 novembre 1984, p 228.

32-شارل ديغول، مصدر سابق، ص 70

33-سليمان الشيخ، مرجع سابق، ص ص 98-99.

34-بن يوسف بن خدة، اتفاقيات ايفيان، ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 2002، ص 18.

35-أزغيدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص 218.

36-بن يوسف بن خدة، مرجع سابق، ص 18

37-أزغيدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص 220

38- Benjamin Stora, De Gaulle et La guerre d'Algérie, Editions Robert Laffont 2009, p : 126.
39- El Moudjahid,15 octobre1959
40- Ibid.
41- Reda Malek, Opcit, p 47.